كثيره مُضر وقليله مقبول

أظن أن في بعض الطروحات شيئًا من التهويل في تصوير مخالفة الرأي، وكأن الخيارات محصورة بين أمرين فقط: إما تنظيم صارم، وإما فوضى وتمرد وكسر للقواعد.

وهذه، في رأيي، ليست المقارنة الصحيحة.

عكس التنظيم هو عدم التنظيم، نعم. لكن عكس المبالغة في التنظيم ليس الفوضى؛ بل تخفيف التنظيم وتخفيف القيود. والشيء بضده يُعرف.

فنحن لا ندعو إلى مجموعة بلا ضوابط، ولا إلى أن يتحول المقهى إلى شارع مزدحم يصيح فيه الجميع في وقت واحد. لكننا كذلك لا نريد أن تتحول المجموعة الوتبية إلى منظومة رسمية مثقلة باللوائح: تعليمات، ثم تعليمات شارحة للتعليمات، ثم مخالفات بسبب مخالفة التعليمات!

التنظيم مثل أشياء كثيرة في الحياة: قليله مقبول ونافع، وكثيره قد يصبح مُضرًا.

المجموعات الوتبية في أصلها ليست مؤسسات رسمية، ولا لجانًا لها دوام وحضور وانصراف. هي امتداد لمجلس اجتماعي وثقافي؛ يلتقي فيه الناس، يختلفون، يمزحون، يغضبون أحيانًا، ويهدؤون أحيانًا أخرى، وتتنفس فيه أرواح الحرية.

وكما قلنا سابقًا: نحن في «صالة» ثقافية، ولسنا في طابور عسكري. نجلس أحيانًا في الصالة، وأحيانًا نقترب من البلكونة، وقد يرفع أحدهم صوته من داخل البيت! لكننا لا نحتاج في كل مرة إلى بناء سور أعلى، ووضع بوابة وحارس، وتعليق لائحة جديدة.

المطلوب هو الحد الأدنى الذي يحفظ المجلس: احترام الآخرين، وعدم الإساءة، وعدم إغراق المجموعة بما يمنع الناس من الاستفادة منها. وما عدا ذلك، فالأصل أن نترك مساحة واسعة لاختلاف الناس وطبائعهم.

لذلك فالقضية ليست: نظام أم فوضى؟

القضية الأدق هي: كم نحتاج من التنظيم؟

وهنا يقع الاختلاف المشروع.

فمن يرى أن القيود كثرت، لا يعني أنه يدعو إلى الفوضى. وقد يكون ببساطة يقول: وصلنا إلى القدر الكافي، فلا تجعلوا الدواء نفسه مرضًا.

المجموعة الوتبية تحتاج شيئًا من التنظيم حتى تعيش، وتحتاج شيئًا أكبر من الحرية حتى تبقى وتبية.